حدود النسق الحجاجي في الخطاب السردي:
نحو بحث عن منهج تحليلي
كتاب "السلوانات" نموذجا

دة. لبنى التازروطي
تخصص: اللسانيات وبلاغة الخطاب
جامعة أبي شعيب الدكالي– الجديدة
المملكة المغربية

الملخص:

لا شك في أن خطاب السرد قد عرف تفاعلا إيجابيا مع الخطابات الأخرى سواء كانت تخييلية، أم واقعية، أم سيرية، على المستويين التقني والموضوعي الهادفين إلى جر المتلقي لدائرة الإقناع بفحوى الخطاب، والتأثير فيه من أجل تغيير سلوك أو فعل ما؛ الأمر الذي أحدث تقاطعا كرونولوجيا مع الحجاج باعتباره آلية يستخدمها كل متكلم/ خطيب/ سارد/ راوي/ حاكي/ قاص، بهدف إقناع المتلقي/ القارئ/ المستمع بما يورده من أحداث أو وقائع قصد الإقناع والاقتناع، وأخذ العبرة والحكمة، والتغيير. هذا طبعا ما ساق اهتمامنا بموضوع كتاب السلوانات لـ"ابن ظفر الصقلي" الذي يعد من أهم الكتب في السرد العربي/ الفارسي، بغرض الكشف عن الآليات التي اعتمدها المؤلف في سرد حكاياته من المنظور الحجاجي والدلالي والتداولي، وإثبات أن الحجاج لا يشتغل فقط في المجالات القضائية أو الخطابة والجدل، بل هو قابل للاشتغال في المجال التخييلي أيضا.

Abstract:

There is no doubt that narrative discourse has had a positive interaction with other discourses, whether imaginary, realistic, or biographical, on both the technical and objective levels, aiming to drag the recipient into the circle of persuasion with the content of the discourse, and to influence him to drag him into changing behavior or action. Which created a chronological intersection with argumentation, as it is a mechanism used by every speaker/orator/narrator/storyteller, with the aim of convincing the recipient/reader/listener of the events or facts he mentions, with the aim of persuasion and conviction, taking lessons, wisdom, and change.

This, of course, is what sparked our interest in the subject of the book Al-Silwanat by Ibn Zafar Al-Siqilli, which is considered one of the most important books in Arabic/Persian narration, with the aim of revealing the mechanisms that the author adopted in narrating his stories from the argumentative, semantic, and pragmatic perspective, and proving that argumentation does not only work in judicial fields. Or rhetoric and controversy, but it is also possible to work in the imaginative field.

تقديـم:

احتل خطاب السرد مكانة كبرى بتنويعاته المختلفة قديماً وحديثاً، محقّقاً بذلك تراكمات نصيّة تعكس الطبيعة المتنوعة للثقافة العربية واستيعابها لبعض خصوصيات الثقافات المجاورة لها، خصوصا الثقافة الفارسية؛ فكانت تجليات السّرد العربي متنوعة من حيث قربها من الواقعي أو ابتعادها عنه، ثم حضر السّرد التاريخي الذي كان يهتم بتسجيل الوقائع والأحداث في فترات زمنية متلاحقة، كما حضر السرد السّيري الذي اهتم بشخصيات بعينها وفي مراحل من حياتها سواء كانت هذه الشخصيات دينية، أو سياسية، أو فكرية، الشّيء الذي أحدث تفاعلاً داخل الخطاب السّيري، الواقعي، والتّخييلي، ويعتبر نص "**السّلوانات**" نموذجاً متكاملاً لهذا التّفاعل الخطابي والتّنوع السّردي داخل العوالم الحكائية؛ حيث حرص " **ابن ظفر**" في إنتاجه لهذا المؤلّف على التنويع من أجل تقديم عِبَر متعددة ومتداخلة للحاكم " أبي عبد الله القرشي" – الذي كان مهدّدا في سلطته من طرف أتباعه ومقرّبيه–، يوجّهه من خلالها إلى مجموعة من المقاصد التّنبيهية والإرشادية، كما أن مسألة توظيف الخطاب الحجاجي بشكل كبير جعل منه الركيزة الأساس في إيصال الأفكار وتحقيق المقاصد بين "المؤلّف" و"المتلقّي" متضمّناً كل وسائل الإثارة، والإقناع، والتحاور، لاسيما في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والخطابات الحِكَمية (منظومة أو منثورة)، والخطابات الحكائية /السردية، وهذا هو ما جعل اختيارنا **المنهجي** يقع على الحجاج بالدرجة الأولى.

لأن **الهدف** من اهتمامنا بهذا الكتاب راجع إلى تتبّع النسق الحجاجي في نص ينتمي إلى جنس أدبي عريق في مدوّنة الأدب العربي/ الفارسي القديم؛ هو القصّة أو الحكاية دون الخطابات الأخرى التي بنى عليها "ابن ظفر" سلواناته؛ فإن هذا الاختيار تحكمه مبرّرات عديدة منها ما هو راجع إلى:

– السعي وراء إثبات فرضية أن **السرد الحكائي هو شكل من أشكال الحجاج**؛ فبالسرد الواقعي أو التّخييلي يمكن أن يقتنع المتلقي كيفما كانت الظروف التي تلقى فيها المادّة المسرودة، ووجوب التّأثير أو الإقناع يتطلب آليات وأدوات حجاجية معينة، تتخلّل هذا النوع من الخطاب خاصّة في الحكاية التي تقوم على الأمثال.

– ارتباطه بـ**ندرة الدراسات حول تتبع الأبعاد الحجاجية في الخطاب الحكائي**.

1. النسق الحجاجي واجهة للبنى الدلالية في السرد:

لا شك في أن الحجاج قد أضحى ذو فعالية خطابية مبناها على عرض الرأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه، خاصة إذا ما عملنا أن ما سنواجهه في بناء خطاب السّلوانات كله منبعه أديب حكيم مسعاه هو إقناع القائد (الحاكم)، والتأثير فيه لتحقيق غرض التسلية والتنبيه من عدوان الأتباع في الوقت نفسه، كما نعرف أن التداولية لها دور أساس في تحقيق نجاعة الوصول إلى الفهم الجيد للخطاب المراد بحثه، والتي يمكن أن ندرجها ضمن قوانين الخطاب أو مسلمات المحادثة: كالأقوال المضمرة، وأفعال الكلام، والسياق، والمقصدية... وغيرها؛ وبما أن اختيارنا قد وقع على "محكي السّلوانات" دون غيرها وجدنا أنفسنا نخصص هذا المحور من مقالنا هذا كجسر للعبور إلى الجانب السردي(المحكي) وكشف العلاقة التي تجمعه بالحجاج خاصة أن هدفنا يتحدد في هذا الاتجاه.

إن أول ملاحظة تصادفنا في الكشف عن المنهج الحجاجي في السرد (محكي السّلوانات) وعن الكيفية التي يكون بها السرد في خدمة الحجاج، تجلت في ظاهرة التأطير التي تخللت نصوصه، بمعنى أن نصا يتضمن نصا آخر،؛ إذ لا نكاد نطوي صفحة من قصّة أو حكاية حتّى يطالعنا الأسلوب الحجاجي بارزا على ألسنة شخصياتها مبرّرا سلوكا قامت أو ستقوم به، هذه الطريقة يستعملها ابن ظفر لتوضيح نصوصه المضمّنة؛ أي الحكايات الإطار، وهي تدخل في باب الحجاج والإقناع، بمعنى آخر إنه يحكي قصة ويُضمِّنها قصة أخرى لتكون المحاججة أكثر تركيزاً، وذلك طبعا، تبعا لسياق معين.

لمسنا أيضا في كتاب "السّلوانات" ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة التشخيص **personnalisation**؛ أي جعل الكلام على ألسنة الحيوانات، بالتالي جعل هذه الأخيرة مؤنسنة؛ فهذه الخاصية لم توضع هكذا اعتباطا بل كان من وراء وضعها هدف مقصود من طرف المؤلف

الذي يجعل في كل حكاية إطار قصة حيوانية مضمنة، ويجعل الحيوانات تتصرف كالإنسان، الشيء الذي جعل منه وسيلة وآلية مستخدمة في السرد لإحداث التأثير على المتلقي بكيفية مبنية على الدفع به لطرح السؤال التالي: **لماذا هذه الاستراتيجية التلميحية (أو المُقَنَّعَة) في حكايات " السّلوانات"؟** .

من مظاهر الحجاج في السرد أيضاً أن الخطاب السردي (الحكائي) أحيانا يتضمن حجاجاً من خلال الخطابات المعروضة –الحوارات– بين الشخصيات، وهو بُعد يعطيه طابعا مسرحيا يقوم على تبادل العلاقات التواصلية لخلق بنية حجاجية الهدف منها إقناع المتلقي، فتكاد القصص –المتضمنة– في هذا الكتاب تكون بمثابة مشاهد من مسرحيات مختلفة، كل واحدة منها تحكي لنا عن مثل معين يسوقه الأديب (ابن ظفر) للحاكم (أبي عبد الله بن علوي القرشي) بواسطة حكايات تتضمن شخصيات واقعية (حقيقية) أو خيالية، وشخصيات رمزية (حيوانية) تدور بينها حوارات حول قضايا مؤسسة على استشهادات من القرآن الكريم، أو من الشعر، أو الأمثال، أو الأقوال المأثورة...، شكلت بنية تحتية للتمثيل الحكائي، أمّا خصوصية الحوار فتكمن في إظهاره اللغة بمستواها التفاعلي والتواصلي، والكشف عن عنصر الذاتية الموجود فيها بواسطة تقنية العرض كبنية تحتية للحجاج **"فالفرق الموجود بين العرض و الحجة هو ذلك الفرق الموجود بين التوضيح والإقناع"**[1] في إطار علاقة تضمّنية بين الخبر و الإقتناع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما يمتاز بميزة الإقناع كاستراتيجية يسعى من خلالها ابن ظفر التأثير على الحاكم من خلال وضعه أمام نسق جدلي حجاجي عبر سرد حكايات واقعية وتخييلية مختلفة لأخذ العبرة منها، وهذا ما يعزّزه قول سيمور تشاتمان**Seymour Chatman** :**"غنيّ عن القول أن القصّة من حيث شكل سطحها هي سرد، ولكن هذه الأخيرة تخدم بوضوح تقليدا ما(أخلاقا ما) بمعنى أنّ النص يختزل بأكمله من وجهة نظر دقيقة إلى حجّة"**[2].

يعرض محكي "السّلوانات" شخصيات وأحداث في حين أن الغرض منها الإشارة إلى شخصيات وأحداث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة؛ بحيث يتبع المرء في قراءتها صور الشخصيات الظاهرة فتتجلى لديه صور شخصيات أخرى تتراءى خلفها فتحكي على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزا لشخصيات أخرى، كما أنها تحكي على لسان الحيوانات، والهدف من ذلك هو الوصول بالمتلقي كمؤوّل وكقارئ إلى درجات عالية من الوعي بذاته ووجوده وبالآخر. **لكن كيف ذلك؟**.

نعتقد بدورنا – ومن خلال اطلاعنا المتواضع على عدة مراجع تخص نظريات القراءة والتأويل– أن البلاغة والتأويل ليسا في الحقيقة سوى حجاجا باطنيا الهدف منه تغيير مواقع القرّاء ودفعهم إلى الفعل، وهذا ما يذهب إليه "بول ريكور" **paul Riccord** الذي نظّر في بلاغة السرد من خلال كتابه الشهير بأجزائه الثلاثة " الزمن والسرد" **le temps et le récit** الذي عالج فيه إشكالية التأويل (الهيرومينوطيقا) والبلاغة (الاستعارة ومتعلقاتها)، وكذلك البحث في سوسيولوجيا الثقافة والفلسفة، موجها ملاحظاته حول بلاغة السرد[3] معتبرا أن معنى السرد أو دلالته تنبثق من التفاعل بين عالم النص وعالم القارئ، وأن هذا التفاعل هو الذي يكمّل العمل الأدبي ويحوّله إلى دليل للقراءة بما فيه من ثروة تأويلية وقدرة على أن يعاد تأويله بطرق جديدة وفي سياقات تاريخية، وهذا سبب آخر يجعلنا نعتبر أن السرد يشمل مستويات حجاجية تظهر من خلال: البناء السردي وعناصره (الحبكة، الأشخاص، الزمن، المكان، اللغة، الأحداث...) من جهة، وإعادة صياغة الدلالة عبر التأويل من جهة أخرى.

لهذا يمكننا أن نقر بأنه من أجل تحليل محكيات كتاب " السّلوانات" لابد من الوقوف على الآليات التي تمكننا من الإمساك بالأطراف التي تكوّن النص اعتمادا على نسقية الخطاب الحجاجي وتتبعه من خلال نص ينتمي إلى جنس أدبي عريق في مدونة الأدب العربي والفارسي القديم، مع مراعاة كل من العناصر التالية:

---

(1)– **حجج وسرديات**، سيمور تشاتمان، ترجمة و تقديم: جواد الرّامي، مقال ضمن: مجلّة فكر ونقد، السنة الخامسة، ع. 48، أبريل–2002، ص:134.

(2)– **حجج وسرديات**، المرجع نفسه، ص: 135.

(3)– **الزمان و السرد" الحبكة و السرد التاريخي"**، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة: د.جورج زيتاني،ج1،من ص:23 إلى ص:62.

- متكلم محكي السلوانات.
- المتلقي الذي يستهدفه "ابن ظفر" من خلال الكتاب.
- الإطار الزماني والمكاني للنص.
- الخلفية الايديولوجية والثقافية التي تتحكم في هذا المؤلَّف.
- سياق الخطاب.

هذه العناصر هي التي ستعطينا الميكانيزمات النسقية المناسبة لتأويل النص السردي، وفهم مختلف مقاصده، بحيث تكون العملية التواصلية بذلك محددة المعالم وواضحة الأقطاب، ولعل الرسم التالي سيوضح توجهنا في هذا البحث:

بنية النسق الحجاجي في محكي " السلوانات"

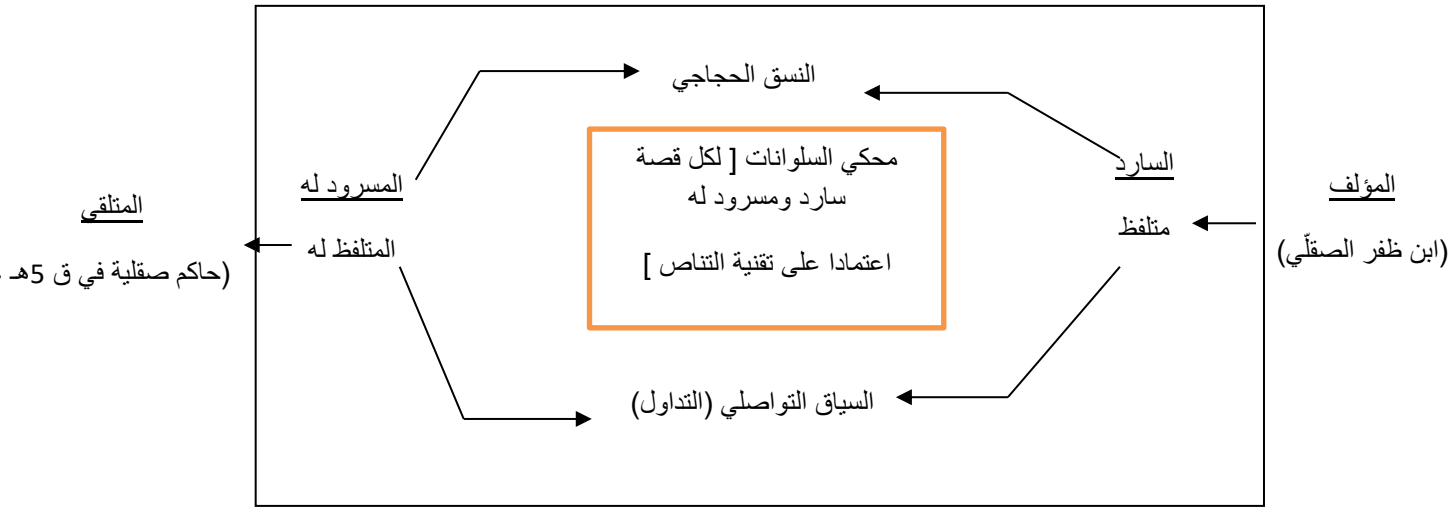

إلى هذا الحد من إعطاء لمحة عن أهم مفاهيم الحجاج ومُتَعلّقاتُه، لا مناص من أن نولي وجهنا شطر مسألة أخرى ضرورية؛ هي البحث في جوانب الحكاية (القصة) والمحكي (السرد).

2. السرديات: نحو بحث عن منهج لدراسة محكي السلوانات.

1.2. الموروث السردي: (قراءة جديدة)

يُعَدُّ السرد العربي قطاعاً حيوياً من تراثنا المعرفي، باعتباره خزّان الذاكرة الجماعية بآمالها وآلامها ومتخيلاتها، فهو قديم قِدم الإنسان العربي، وأولى نصوصه التي وصلتنا عن العرب دالة على ذلك؛ حيث قدم لنا العرب منذ أقدم العصور أشكالا وأنواعاً سردية متعددة ساهمت في رسم ملامح حياتهم بصورة سمحت لمختلف النقاد والدارسين أن يتعاملوا مع الماضي التعامل المناسب كي يوفر لهم الفهم الحقيقي للتراث الذي يصف بدوره طبيعة علاقتنا معه، وهذا ما أكده **د. سعيد يقطين** حين تحدث عن " **السرد العربي**" قائلا:" **مارس العربي السرد والحكي، شأنه في ذلك شأن أي إنسان في أي مكان، بأشكال وصور متعددة، وانتهى إلينا مما خلفه العرب تراثا لهم، لكن السرد العربي كمفهوم جديد لم يتبلور بعد بالشكل الملائم ولم يتم الشروع في استعماله إلا مؤخرا وبصور شتّى**"[4]، وفي هذا إشارة إلى أن السرد العربي كان ولا

[4]- **السرد العربي، "مفاهيم وتجليات"**، د. سعيد يقطين، ص: 65-66.

يزال حبيس الإبداع والتصور التقليدي للنقد، في حين كان جديراً أن ينال حظاً من التطور في المنهج النقدي الإجرائي لنصوصه السردية خاصة باعتبارها تشمل أعمالا حكائية تختلف عن غيرها من الأجناس والأنواع الأدبية، وباعتبار السرد العربي يسمح بتوظيف صيغة السرد بشكل يفوق باقي صيغ الخطاب من حيث موقعه في تقديم المادة الحكائية.

إن البحث في هذا الضرب من الأعمال السردية يقدم إمكانات مهمة لتجديد الرؤية إلى الأدب العربي، وللعناية بالنصوص التي يتم التعامل معها خاصة التي تزخر بمادة حكائية مختلفة الأنواع والأشكال، وذلك من خلال قراءات متعددة تحتكم إلى نظرة تأويلية تراعي خصوصية التراث الحافل بإبداعات متنوعة (أخبار، أسمار، حكايات، قصص...)، فإذا كانت بعض جهود الدارسين قد انكبت على إعادة قراءة مختلف أنواع السرد العربي القديم مثل القصص الخرافية (حكايات ألف ليلة وليلة)، والسير الشعبية، وقصص الحيوان، رسالة الغفران، رسالة التوابع والزوابع، والبخلاء للجاحظ، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، والمقامات، والأمثال... وغيرها، فإنه في أشكاله القديمة الموروثة ظل حبيس الإبداع اللفظي، والزخارف البلاغية، والصنعة المحكمة في نسج خيوط الحكاية؛ وعدم الاحتكام إلى منهج يهدف إلى تفكيك بنيته عن طريق التحليل والقراءة النقدية لمعالجة تلك النصوص السردية الموروثة، مما أدى بالبعض منها إلى الإهمال والتجاهل، **فلماذا العودة إذن إلى تراثنا وبأي وعي؟**.

إن إعادة قراءة تراثنا العربي من منظور حديث لا يعني رفض الماضي، بل يهدف إلى تفحص ما قيل لمعرفة ما يمكن أن يقال أو قوله حتى الآن، وهو ما يسهم في تشكيل فكر الإنسان العربي الجديد القادر على فهم ومواجهة أمور تخص العصر، وفي إثراء هذا العلم وإغنائه، ويؤكد هذه الفكرة **د. سعيد يقطين** بقوله: " **نسعى إلى التراث بأدوات جديدة، وبأسئلة جديدة، وبوعي جديد، ولغايات جديدة. ليست الجدة هنا مقابلة للقديم، ولكنها تنبني على أساس محاولة الجواب عن سؤال:" لماذا نبحث – الآن– في نصوص قديمة؟"، لأن هذا السؤال علاوة على تضمّنه مواقف سلبية، عموماً من القراءات المنجزة الآن، يطرح على نفسه الجواب على مختلف الأسئلة المتفرعة عنه، مثل: بأية أدوات؟ أو منظور؟ ولأية غاية؟**"[5]، ولِكَون الدراسات والمناهج الغربية توفر الشروط العلمية التي تمكن من الاشتغال على النصوص السردية قديمها وحديثها، باختلاف الخلفيات والمقاصد التي ينطلق منها المشتغلون بالسرد؛ آثرنا الاشتغال في تحليل النص السردي بالمقومات الغربية (السّرديات، أو علم السرد)، ومحاولة إبراز العناصر السردية التي تحمل حجاجا وتقحمه في عوالم المتخيل بهدف إيصال المقصدية إلى المتلقي.

إن التراث العربي قد ترك لنا نصوصاً وافرة في مجالات أدبية عدة خصوصاً منها السردية، وكتاب "السّلوانات" يمثل وجها آخر للموروث العربي/ الفارسي، لهذا فإن السؤال الجدير بالطرح في هذا الباب يتعلق بالتصور المنهجي والأدوات الإجرائية التي سنعمل بها في مقاربتنا "لمحكي السّلوانات" حتى نتمكن من اقتحام قضاياه من حيث تكونه وتشكله. **فما هو السرد؟ وبأي منظور يمكننا أن نعالج محكي السّلوانات؟ وكيف يساهم "علم السّرد" في الكشف عن جوانب الحجاج في محكي السّلوانات؟**.

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي أولا وقبل كل شيء، الوعي بضرورة البحث العلمي الذي يشكل معبراً لإعادة التفكير في السرد العربي خاصة أن موضوع بحثنا يجمع بين "القصص العربي والفارسي" و" الموروث السردي"، فعندما يتحدد مجال الاشتغال بالنصوص التراثية فإننا نقصد بذلك الإبداع السردي دون العلم أو الاختصاص بالسرد الذي ظل النقاد العرب بعيدين عنه لعقود من الزمن، حيث اكتفت دراساتهم بالتصورات التقليدية (البلاغية) التي اعتادوا أن يحللوا بها نصوصهم الشعرية، لهذا كان الدافع وراء تبنينا لرؤى وتصورات منهجية في التحليل (السرديات) يتوافق مع ما أشار إليه **د. سعيد يقطين** بقوله: "**إنّ السرديات "كاختصاص علمي يهتم بالسرد، لا ينفي ضرورة**

---

[5]– **الكلام و الخبر"مقدمة للسرد العربي"**، د.سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ص:18.

النظريات السردية الأخرى في اقتحام مجال السرد العربي. بل على عكس ذلك لابد من الدعوة إلى ممارسة الاختيار المنهجي وحرية الأخذ بما يتناسب وأسئلة الباحث أو الدارس"[6].

إنّ طبيعة المقال ستكون خاضعة لمواصفات سردية خاصة، تمكّننا من الكشف عن البعد الحجاجي/ التواصلي الكامن وراء حكي (سرد) هذه المحكيات (القصص) سواء على المستوى المورفولوجي أم المستوى التركيبي.

لكن قبل التطرق لاتجاهات العمل السردي، لابد من الإشارة إلى العناصر الأساسية التي يتكون منها هذا العمل، ألا وهي (الحكاية **Histoire**، الحكي **Récit**، السرد **Narration**) مع التركيز على ثنائية الحكاية (القصة) /السرد باعتبارهما نسقين يشكلان خطاباً لغوياً ذا معنى، وبالتالي فهما يحتاجان إلى تأويل وفق معايير خاصة وسمات مميزة تقود إلى الرهان الأساس الذي انتظم لأجله هذا المقال.

2.2. مبادئ ومفاهيم أولية:

لا يهدف هذا المحور إلى الدخول في تفصيلات النظرية السردية الحديثة، إلا بالقدر الذي يُعين على تحديد المفاهيم والأدوات التي سيتم توظيفها في دراسة وتحليل، "محكي السلوانات" تحليلاً يؤدي في نهاية المطاف إل فكّ تشابكات النص، واستنتاج السبل الحجاجية والتواصلية التي وظفت في الحكي؛ معنى هذا أن التناول النظري للمكونات السردية سيكون انتقائيا نفعيا، بما يُلائِم موضوع البحث؛ إذ لاشك أن سياق هذه المحكيات يقتضي أدوات نظرية بعينها وينفي أدوات أخرى. فالبحث لا يهدف إلى تطبيق المفاهيم النظرية بقدر ما يهدف إلى التحليل وصولا إلى محاورة النصوص، ومحاولة استنطاقها؛ لذا ارتأينا و نحن نتابع عدة مفاهيم سردية أن نمر عبر محطات مختلفة ومتباينة تمكننا من الظفر بالقليل أو الكثير مما يصل أو يفصل هذا المفهوم عن المفاهيم الأخرى التي ترادفه في الاستعمال العام (الحكاية، القصة...)، لهذا كان التدقيق في المفاهيم يحتاج إلى وقفة كفيلة بإمكانية وضع حدود الالتقاء والاختلاف بينها.

إن طبيعة المتن الذي سنشتغل عليه يفرض علينا فتح النقاش بالسؤال التالي: **لماذا الحكاية – باعتبارها قصة – والسرد؟ وليس القصة والحكي؟.**

1-2-2- مفهوم الحكي في مقابل الحكاية.

نسجل ملاحظتنا بخصوص مسألة العلائق التي تجمع بين هذه العناصر؛ فإذا كان الحكي "**Recit**" هو "**الدال أو الملفوظ أو الخطاب أو النص**" [7]، فإنه يقابل القصة (الحكاية) التي تعني "**المدلول أو المحتوى الحكائي**"[8]، وهذا ما يفرض علينا البحث في طبيعة مصطلحي "**الحكي**" و"**الحكاية**":

جاء في "**لسان العرب**" لابن منظور أن "**الحكاية: (حكي) كقولك حكيت فلانا وحاكيته، أي فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله، وحيكت الحديث عنه حكاية [...] يقال فلان يحكي الشمس حسنا ويحاكيها معنى. ويحاكيها معنى. وحكيت الكلام عنه حكاية**"[9].

وفي "**معجم المصطلحات العربية**" وردت لفظة " **الحكاية** " على أنها: "**لفظ عام يدل على قصة متخيلة أو على حدث تاريخي خاص يمكن أن يلقي الضوء على خفايا الأمور، أو على نفسية البشر كما يدل على أي سرد من منسوب إلى راو**"[10].

---

[6]- **السرد العربي " مفاهيم وتجليات"**، د. سعيد يقطين، ص: 87-88 (بتصرف).

[7]- **السرديات والتحليل السردي " الشكل والدلالة"**، سعيد يقطين، ص:52

[8]- المرجع نفسه ص: 52

[9]- **لسان العرب**، ابن منظور مادة "حكي"، ج6، ص: 277(بتصرف).

[10]- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة، وكامل المهندس، ص: 152.

هذا وقد أوضح **د.علي عبد الحليم محمود** مصطلح "الحكاية" الذي أطلقه الغرب قديما على " **الأحاديث والأخبار والأسمار والخرافات، وهذا دليل على اهتمامهم بالحكاية اهتماما كبيرا [...] كما أطلقت على القصة التي تصور الحاضر وتحكي جوانب منه [...]، والحكاية مجموعة من الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام هو التجربة الإنسانية نفسية أو اجتماعية**"[11]، وقد عرفها **د. سعيد جبار** – من منظور البحث عن الخبر في السرد العربي– بقوله :" **يمكن أن نعتبر الحكاية ذلك التطور أو النمو التدريجي للخبر؛ أي أن مجموعة من الأخبار عندما تتألف في ما بينها وتتناسق تشكل حكاية**"[12]، وإذا ما قارنا بين " الحكاية" و" الحكي" نجد أنه قد جاء من أصل حكى يحكي الخبر حكاية، أي نقله عن فلان، وهو ما يطابق التعريف الذي جاء في لسان العرب عن " الحكاية"؛ حيث نجد أن " الحكي" قد ورد باعتباره نقل الخبر عن الغير، وتقليد أو محاكاة فعله، وهو الشيء الذي يستدعي وجود " حاكي" أو " قاص" أو "سارد" ينقل للمتلقي أحداث ووقائع الحكاية التي يُسَرِّدها والتي قد تكون إما مطابقة للواقع، أو متضمنة عنصر الخيال؛ فالمقصود بالحكي إذن: ليس هو الحكاية في حدّ ذاتها بل هو فعل النقل، كما جاء في "**خطاب الحكاية**" لجيرار جنيت **Gerard– Genette**، وهو الأمر الذي تنبه إليه **د.سعيد يقطين** في إحدى دراساته إذ قال: "**إن المقصود من الحكي ليس هو الحكاية كما نجده في الترجمة العربية لكتاب جنيت "خطاب الحكاية". إنّه فعل الحكي أيّاً كان جنسه من "فعل" حكى** "[13] ،إنه المقابل الاصطلاحي للمحكي باعتباره: "**خطابا شفويا أو مكتوبا يعرض حكاية؛ والسرد هو الفعل الذي ينتج هذا المحكي** "[14]. ولأن الحكي يستخدم في الأدب بشكل عام لأنه يقبل التحقق بوسائط وبصيغ متعددة في مختلف الخطابات، فإن السرد يعتبر خاصاً لأنه يتجلى بواسطة الصيغة، وبهذا فإن الحكاية (القصة) تصلنا من خلالهما معاً، بالتالي فالحكاية التي تحدث عنها "جيرار جنيت" في كتابه لا تخصّ القصة وحدها أو السرد وحده؛ بل إنها موجودة فيهما باعتبارها تكشف عن محتوى القصة وعن الطريقة التي تقدم بها (الخطاب)، والشاهد على ذلك قوله: " **فالحكاية (أي الخطاب السردي) لا يمكنها أن تكون حكاية إلاّ لأنها تروي قصة، وإلاّ لما كانت سردية، ولأنها ينطق بها شخص ما، وإلاّ لما كانت في حد ذاتها خطاباً، إنها تعيش، بصفتها سردية، من علاقتها بالقصة التي ترويها؛ وتعيش بصفتها خطاباً، من علاقتها بالسرد الذي ينطق بها**"[15]، وإذا كانت الحكاية هي حلقة الوصل بين السرد والقصة، فما **هو التقسيم المناسب الذي سيوجه تحليلنا؟** مع العلم أن "محكي السلوانات" يجمع بين هذه العناصر كلها؛ إذ نجد **القصة** حاضرة كون أهدافها تنحصر في حكاية الأحداث من أجل إثارة القارئ ومن أجل الترويح عن نفسه، كما نجد **الحكاية** حاضرة بتضمُّنها أحداثاً تخييلية أو تاريخية بهدف إلقاء الضوء على خفايا الأمور أو على النفس البشرية، ثم **السرد** الذي يتعلق بنوعه كخطاب قابل لتوظيف مفهومي الصيغة والصوت السردي اللذين سيخدمان مسألة تقصي آليات الحجاج التي استخدمها "ابن ظفر" في سلواناته، لكن قبل أن نذكر الأدوات السردية التي سنعمل بها في التحليل لابد من التعرف بعجالة على مفهومي السرد والقصة .

2-2-2- مفهوم السرد:

أ- لغة :

للسرد مفاهيم متعددة تتعلق في جوهرها بالنص الأدبي (شعرياً أو نثرياً) لهذا توجهنا للبحث عن مدلوله اللغوي في مختلف القواميس والمعاجم العربية فورد في " **لسان العرب**" ذكر مفهوم السرد على أنه : " **تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقاً بعضه في إثر بعض، وسرد الحديث: إذا تابعه وكان جيد السياق له، والسرد: الخرز في الأديم، وقيل: سردها، نسجها، وهو تداخل الحلق بعضها ببعض**"[16]، كما

---

[11]– **القصة العربية في العصر الجاهلي**، علي عبد الحليم محمود، ص: 17

[12]– **الخبر في السرد العربي " التوابث والمتغيرات"**، د. سعيد جبار ، ص:99

[13]– **السرديات والتحليل السردي "الشكل والدلالة"**، د.سعيد يقطين، ص: 52

[14]– **نظرية السرد " من وجهة النظر إلى التبئير"** ، لجيرار جنيت، واين بوث وآخرون، ترجمة : ناجي مصطفى ، ص: 97.

[15]– **خطاب الحكاية " بحث في المنهج"**، جيرار جينت، ترجمة : محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، ص: 40.

[16]– **لسان العرب**، لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، مادة " سَرَدَ"، ج 3، ص: 211

عرفه ابن فارس في كتابه " **مقاييس اللغة**" بقوله: "**إن كلمة سرد تدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض من ذلك السرد اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق**"[17].

يمكننا استنتاج أن السرد في معناه اللغوي يشمل مفهوم التتابع أو التوالي في العرض من جهة، والمحافظة على التقنية المقدم بها من جهة ثانية، فالقصد هو إتقان السياق الذي تُبَلَّغُ فيه الرسالة، والمعنى من هذا كله أنه: رواية حديث (قصة، خبر، رسالة) متتابع الأجزاء، يَشُدّ كلا منهما الآخر بخيط مترابط ومتناسق بطريقة سَلِسَة، وهو شرط يؤمن فهم السامع وإدراكه بأسلوب جيد.

ب– اصطلاحا:

إن الاختلاف في المناهج التحليلية دائما ما تُوَلِّدُ تعدداً في التحديدات المفاهيمية حسب وجهات نظر كل من النقاد والدارسين في أي مجال، لكن ما سيؤطر مفهوم السرد ليس الاختلاف أو التعدد، بل التوحد الذي يجمع جل الدراسات السردية في تعريف "السرد" الذي ورد بشكل عام بمعنى حَكْيُ الأحداث أو الأخبار، سواء تعلق الأمر بالأحداث التي وقعت فعلاً، أم بتلك التي نتجت عن الخيال؛ بمعنى أنه عملية يقوم بها " السارد" أو " الحاكي" لينتج عنها النص القصصي الذي يشتمل على المحكي (اللفظ القصصي) والحكاية (الملفوظ القصصي). وبمواجهتنا للتحديدات التي أُعْطِيت له كمصطلح نقدي نجد:

– أن "**عبد الملك مرتاض**" قد عرف بأنه :" **الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص وحتى المبدع الشعبي/ الحاكي، ليقدم بها الحدث إلى المتلقي، فكان السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي**"[18].

– أما "**د. حميد الحميداني**" فحدَّدَهُ باعتباره يقوم على دعامتين أساسيتين: "**أولاهما:أن يحتوي على قصة ما، تضُمُّ أحداثا معينة، وثانيتهما: أن يُعيِّن الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سرداً، ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يُعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي**" [19].

من خلال هذين التعريفين نخلص إلى أن السرد هو خطاب يعيد تقديم حدث أو أكثر، وبمعنى آخر هو إعادة قول سلسلة من الأوضاع والأحداث، كما أنه مجموع الطرق التي يمكن أن تروى بها القصة– يتعلق الأمر بشكل المضمون–، هذه القصة تضمُّ أحداثاً معينة يقوم السارد بانتقاء الوسائل الملائمة والكيفية التي يقدمها بها للقارئ، وهو بشكل آخر يقابل "العرض" **Showing**، ولهذا يعتبر: "**إنتاجاً لواحد أو لأكثر من الأحداث الحقيقية أو المتخيلة، مقدمة بطريقة صريحة أو متخفّية عن طريق سارد أو أكثر، موجهة بطريقة صريحة أو متخفية إلى مخاطب سردي أو أكثر**"[20]، فالسرد إعادة متجددة للحياة، تجتمع فيه أسس الحياة من شخصيات وأحداث وما يؤطرهما من زمان ومكان، وفق تعدد لغوي وإيديولوجي وفكري، يتسع ليشمل خطابات متعددة ومختلفة وبجميع اللغات الممكنة، لهذا نجد أن "رولان بارت" **R Barthe** قد أعطى للسرد تعريفاً شاملاً بقوله: " **فالسرد يمكن أن تحتمله اللغة المنطوقة شفوية كانت أم مكتوبة، والصورة ثابتة كانت أم متحركة؛ والإيماءة (le geste) مثلما يمكن أن يحتمله خليط منظم من كل هذه المواد، والسرد حاضر في الأسطورة وفي الحكاية الخرافية(légende) وفي الحكاية على لسان الحيوانات، وفي الخرافة [...]، فالسرد لا يعير اهتماما لا لجودة الأدب ولا لرداءته؛ إنه عالمي، عبر تاريخي، عبر ثقافي، إنه موجود في كل مكان تماما كالحياة**"[21].

---

[17]– **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس أبي الحسن بن زكرياء، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ص: 157.

[18]– **ألف ليلة وليلة "تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد"**، لعبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط /1993، ص: 84.

[19]– **بنية النص السردي " من منظور النقد الأدبي"**، د. حميد الحميداني ، ص: 45.

[20]– **السرديات"مقدمة نظرية ومقتربات تطبيقية"**، مرسل فالح العجمي ، ص:12

[21]– **طرائق تحليل السرد الأدبي**، مقال بعنوان "**التحليل البنيوي للسرد**"، لورلان بارت ، ترجمة: حسن البحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، ضمن منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ملفات 2، ط1/ 1992، ص: 9

من باب التبسيط أورد "يان مانفريد" **Jahn Manfred** تعريفا له بقوله:" **إن كلّ سرد يعرض لنا قصة وإن القصة هي تتابع أحداث تستلزم شخصيات، لذا فإن السرد هو وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسبّبت فيها أو جرّبتها الشخصيات**"[22].

3-2-2- مفهوم القصة:

أ- لغة:

جاء في "**معجم مقاييس اللغة**" لابن فارس "**القاف والصاد: أصل صحيح، يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم قصّ الشيء بقصة قصّاً، وقصصاً، بمعنى تتبعه لأمر وغاية ينتهي إليها**"[23]، وفي حديث أم موسى مع أخته، حين التقطه آل فرعون:" **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصّيه، فَبَصرَت بِه عَنْ جَنب وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون**"[24]، والمقصود "بقُصّيه" أي تتبعي أثره لتعلمي خبره، فهذا الفعل لابد له من محدث؛ إذ يمكن أن يكون الأثر مجرّداً عن صاحبه لذلك فالقصة ترتبط بالشخصية هنا أكثر من ارتباطها بالحدث، وفي قصة يوسف عليه السلام مع إخوته يأتي " القص" بمعنى " البيان"، ومنه قوله تعالى:" **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَص**"[25] أي نبيّن لك أحسن البيان، والقاص:" **مَنْ يَأْتِي بِالقِصَّة**"[26].

من خلال هذه التعريفات اللغوية لمفهوم القصة تبيَّن أن هناك وجهان لمعنى واحد، وهما:

- أن القصة تعني الحكي عن خبر أو حدث وقع في زمن مضى لا يخلو من العبرة والعظة.
- أنها مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيبا منطقيا حول التجربة الإنسانية.

ب- اصطلاحا :

مما لاشك فيه أن للقصة أثراً قويا في الإنسان، فهي وسيلة من الوسائل المثيرة والمربّية للنفس البشرية، ولما كان للقصة هذا التأثير الكبير في إثارة الفكر وتهذيب النفس آثرنا التعرض لها في بحثنا من خلال اطلاعنا المتواضع على مختلف الدراسات السردية التي بحثت في مجال القصة (الحكاية) السرد (الخطاب)، إذ تبيّن إلى حد ممكن المفهوم الاصطلاحي للقصة الذي اجتمعت أغلب هذه الدراسات على أنه: متتالية من الأحداث التي تترابط فيما بنيها منطقيا وهي تقوم على أفعال شخصيات يمكنهم أن يؤثروا ويتأثروا بواسطة الأحداث، أما إذا أردنا تقضي التعاريف التي أوردتها الدراسات السردية نجد:

- أن "فورستر" **M.Forster** قد عرفها بأنها: "**سرد حوادث مرتبة حسب التسلسل الزمني** "[27]؛ حيث أطر مفهومها ضمن حديثه عن الحبكة وعلاقتها بالسرد.

- عرفها توماشفسكي "**Tomachovski**" باعتبارها متنا حكائيا أنها:" **مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي تُكوّن مادة أولية للحكاية[...] إن المتن الحكائي هو المتعلق بالقصة كما يفترض أنها جرت في الواقع**"[28]، مميزا بذلك بينها وبين الخطاب باعتباره مبنى حكائيا.

---

(22)- **علم السرد**، " **مدخل إلى نظرية السرد**"، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة، ص: 12.

(23)- **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس، مادة (قص)، مج5، ص: 11

(24)- **سورة القصص**، الآية 11 من القرآن الكريم.

(25)- **سورة يوسف**، الآية 03 من القرآن الكريم.

(26)- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، ج2، ص: 311.

(27)- **حبكة الرواية**، ل : م فورستر، ضمن كتاب: أسس النقد الأدبي الحديث، ترجمة: هيفاء هاسم، ص: 128

(28)- **بنية النص السردي**، د. حميد الحميداني، ص: 11.

– حددها بروب "**Brop**" في إطار دراسته للوظائف في كتابه " **مورفولوجيا الحكاية**" بقوله :"**إن ما هو مهم في دراسة الحكاية هو التساؤل كما تقوم به الشخصيات. أما من فعل هذا الشيء أو ذاك، وكيف فعله فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير**".[29]

– وصفها **جيرار جنيت** بـ: "**المدلول أو المحتوى الحكائي**"[30].

– عرفتها " ميك بال" **Mieke Bal** أنها :" **مجموع الأحداث في نظامها التتابعي، وفي موقعها الذي تجري فيه، وفي علاقتها بالفاعلين الذين يؤثرون فيها ويتأثرون بها، يسهم في تشكيل القصة، وهذه القصة يمكن توزيعها إلى العناصر التالية: أحداث– فاعلون– مواقع – مدة زمنية**"[31].

أما إذا نظرنا للقصة من زاوية التواصل سنجد أنها تستلزم وجود طرفين: سارد ومسرود له، يقوم الطرف الأول بتمرير محتوى القصة للطرف الثاني عبر قناة، هذه العملية تستدعي تقنيات معينة تكمن في الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق تلك القناة إذن: "**فالقصة لا تتحدد فقط بمضمونها، ولكن أيضاً بالشكل أو الطريقة التي يقدم بها ذاك المضمون**"[32].

بتأمل هذه التعريفات الواردة نستنتج أن القصة هي مجموعة أحداث مرتبة ترتيبا منطقيا وسببا، تدور حول مواضيع إنسانية شتى، جوهرها تصوير الحياة بما فيها من نماذج بشرية سواء كانت واقعية أم متخيلة، المهم هو أن تكون أحداثها متسلسلة وفق منطق معين، لكن كيف يمكن لهذه الأحداث أن تصل المتلقي وتؤثر فيه؟.

إن القصة من الأنواع الأدبية البارعة التي تمكن " **القاص**" أو " **السارد**" أو"**الراوي**" أن يبرز براعته في الحكي، فهي ليست حكاية للأحداث وسردا للوقائع فحسب، وإنما هي فقه حياة الناس وما يحيط بها من ظروف، وما يتتابع فيها من أحداث تترك أثرها في النفس بوسائلها اللامتناهية ما تبلغه وسيلة أخرى.

بناء على ما سبق سيكون العمل السردي (المنهج) هو الإطار العام المتعلق بمحكي "السّلوانات" الذي سنعمد إلى تحليله وفق معايير خاصة تُظْهِر تفاعل النصوص السردية مع الحجاج في إطار تواصلي ذوي آليات متصلة بسياقات وبنيات نصية مدمجة.

2.3– المنهج السردي:

أثارت السرديات وهي تهتم بالجانب الشكلي من الأدب نقاشاً حادّاً ارتبط بالتساؤل عن إبعاد القصة والاهتمام بالخطاب، مع العلم أن القصة وجدت إقبالاً واسعاً في الدراسات السيميوطيقية التي تَزَعَّمها "غريماس" **Gremas** في فرنسا، كشفت عن حيوية الجانب المورفولوجي في النص السردي الذي لا يقل أهمية عن الجانب التركيبي المتعلق بالخطاب؛ وهو ما دفع ببعض المهتمين بالسرديات– الشكلانيين الروس واللسانيات البنيوية– إلى البحث عن الطريقة المناسبة للمزاوجة بين القصة والخطاب في المقاربة السردية، فكان انشغالهم منصبّاً حول تحديد مكونات النص السردي الذي يتكون من :"**عنصرين متكاملين متداخلين، هما الحكاية (القصة) والخطاب، وبينهما تمثل الحكاية المتن الموضوعاتي بمكونات مختلفة: الأفعال والوقائع والشخصيات والفضاء المكاني/ الزماني، ويمثل الخطاب الكيفية التي يجري عن طريقها تقديم ذلك المتن إلى متلق مفترض في صياغة كتابية ناجزة**"[33].هكذا كانت هذه المزاوجة بمثابة متنفس جديد للسرديات من أجل توسيع مجال اشتغالها وهي تتحدث عن مفهوم " السردية" الذي فتح المجال لمختلف الدراسات التي حاولت أن تُنَظّر بهدف تطوير المشروع العلمي

---

(29)– **المرجع نفسه**، ص: 24

(30)– **السرديات والتحليل السردي**، د. سعيد يقطين، ص: 52.

(31)– **المرجع نفسه**، ص: 68–69.

(32)– **بنية النص السردي**، المرجع السابق، ص: 46.

(33)– **الرواية العربية " ممكنات السرد"**، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، ج2004/1، ص: 69.

لهذا المجال، سواء في المرحلة ما قبل الجُنِيتِيَّة (1972م) أم ما بعدها (أقصد تلك التوجهات المختلفة التي اختصت بدراسة الأجناس الأدبية المختلفة من "حكاية، قصة، ورواية، سعياً منها في محاولة استنباط القواعد الداخلية لها والنظم التي تقوم عليها وتحكم أبنيتها المختلفة).

ليس هدفنا هو متابعة هذه التحولات التي عرفتها السرديات وهي تنفتح على العلوم الأخرى، أو تقييم ما حققته من نتائج في هذا المجال أو ذاك- فكل اتجاه له مبرراته وخلفياته- بقدر ما سيكون الاهتمام بالسرديات منصبا على جانبيه القصصي والخطابي للكشف عن النسق الحجاجي للعبور مما هو لفظي إلى ما هو دلالي ذو مقصدية تواصلية في إطار سردي خالص؛ لهذا فمستوى التحليل سيكون مؤطرا باتجاهين:

- الأول: يعمد إلى تحليل بنية النص السردي باعتباره علامة مكونة من محاكاة مجموعة من الأحداث، وهو ما يخص البناء المورفولوجي (أي مستوى القصة).

- الثاني: يتعامل مع بنية السرد بوصفها مجموعة من الأجزاء المتعاقبة ذات بناء زمني وحدثي، وهو ما يخص البناء التركيبي (أي مستوى الخطاب).

1-3-2- المستوى المورفولوجي:

يتعلق بطبيعة المادة الحكائية (القصة/ الحكاية) وما تنطوي عليه من أحداث (أفعال)، شخصيات (فواعل)، الأزمنة والأمكنة التي تعد مواداً أصليّة يتحقق بها العمل الحكائي، أو تشكل قاعدة أساسية لها من خلال ترابط تلك الدوافع الداخلية والأيديولوجية، وترابط تلك المكونات كتأسيسات أولية، إلا أن هذا البحث لا يحتاج من هذه المواد أو القواعد إلَّا لِبِنْيَتَيْن: "الحدث" و" الشخصيات" لاتصالهما بموضوعه.

أ- الحدث:

يشكل الحجر الأساس الذي تقوم عليه القصة/ الحكاية؛ لأنه ينهض على مجموعة من الأفعال التي تقوم بها شخصيات معينة لتؤسس بذلك خيوط الحكاية- واقعية أم خيالية-، هذه الأفعال هي التي تنقل القصة من حيّز الوصف إلى حيّز السرد، وهو ما يُثَمِّنُه **محمد القاضي** في تعريفه للحدث معتبراً إياه: "**الواقعة المهمة التي تخرج عن المألوف[...] لخُلوّ هذا المصطلح من المعيارية وأحكام القيمة، وإن ذهب بعضهم إلى أن الأحداث المترابطة في قصة ما تكون فعلا، فالفعل بهذا المعنى هو مجموع الأحداث المترابطة بحسب التعاقب الزمني والتراتب السببي**"[34]، فرغم أنه قد حصر في البداية مفهوم الحدث بالواقعة التي تخرج عن المألوف؛ أي عن العادي (وهذا لا يكون إلا في مستوى الحكاية لما تشمله من خرافات وأساطير وأحداث متخيلة تتخطى المنطق)، إلا أنه أَقَرَّ في نهاية النص أن " الفعل" هو الحدث المترابط والمتسلسل الذي يجري وفق شروط زمنية معينة وتراتبية الأسباب التي تؤدي إلى وقوعه، والتي تكون للشخصيات علاقة وطيدة به.

ب- الشخصية الحكائية:

لم تغفل الأبحاث الشكلانية والدلالية هوية الشخصية في الحكي، فقد نظرت إليها باعتبارها قابلة لأن تحد من خلال سماتها ومظهرها الخارجي، وهو ما جعل هذا التصور يبقى حبيس التقليد الذي يشوبه الخلط بين الشخصية الحكائية (**personnage**) والشخصية الواقعية (**personne**)[35]، هذا الخلط انتقل بدوره إلى مستهلك الفنون بين الشخصية بوصفها كائنا فنيا (روائيا، مسرحيا، سينيمائيا) ذا وجود مستقل، وفكرة الشخص باعتباره "إنسانا، "فردا"، "وحَيًّا"، والحال أن مفهوم الشخصية هو من أعقد إشكاليات النص السردي.

دعا النقاد إلى ضرورة التمييز بينهما، مع عدم حذف العلاقة بينهما، بل إن الغرض كان هو الكشف عن خصوصية كل منهما وعالمه الذي يتحرك فيه حتى نستطيع التفريق بين الشخصيات **هل هي أشخاص واقعية أم العكس؟**.

---

(34)- **معجم السرديات**، محمد القاضي، ص: 243.

(35)- **سيميولوجية الشخصية الروائية**، لفيليب هامون، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد التاح كيليطو، ص: 16.

كي نحاول إثبات أن مفهوم الشخصية في القصة/ الحكاية يختلف عن مفهوم الشخص الواقعي بدء من التأكيد عل قضية: أن لكل منهما عالمه الذي يحتويه " **فالشخصية من صنع الكاتب/ ليس لها ماض ولا مستقبل، بينما الشخص كائن حي ينتمي لما هو واقعي وحقيقي لا متخيل، له تاريخه وماضيه**"[36]، ولهذا لا ينبغي التسليم بالتطابق بينهما؛ إذ أن الأشخاص الذين يختارهم الكاتب من واقعه الاجتماعي ما إن يدخلوا الحكاية حتى ينفصلوا عن ذواتهم وتتحقق لهم ذوات جديدة، لهذا يرى "فيليب هامون" **Philipe Hamond** من خلال تحليله لشخصية مدام بوفاري أن :"**حضور الشخصيات في القصة غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق التوجهات الأخلاقية (كَالنُّبْل، الوضاعة، النّذالة...)، والاختيارات الجمالية الإيديولوجية للكاتب**"[37]؛ فهو يدعو بشكل ضمني إلى ضرورة القيام بقراءة دقيقة للشخصيات الحكائية لما تحمله من إيحاءات تَوَارَتْ وراء الاختيارات الجمالية للسرد، ذلك أن: "**الشخصيات ليست كائناً من (لَحْمٍ، وَدَم)، بل تشكيلة من الدلالات** "[38] التي يمكن أن تبرز من خلال الأسماء أو الصفات...، محددة مدلالوتها.

على الرغم من ذلك، فإننا نعثر في بعض الحكايات على نماذج (بشرية) من الشخصيات تدخل في علاقة تماثلية مع الأشخاص بحيث نعتقد على مستوى التمثيل أننا أمام شخصيات/ أشخاص فعليين، هذا بالإضافة إلى أن مفهوم الشخصية لم يعد يمثل في النص الحكائي الأشخاص فقط، بل تعدى ذلك ليتشخص فيما هو نبات أو حيوان...، مثلما هو الحال في كتابنا " السلوانات" وغيره من النصوص السردية الموروثة "ككليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة"...؛ إذ نجد أن الكاتب يحرّك ما لا يتحرَّك، ويخلق عالمه العجيب بأشياء لا علاقة لها بما هو موجود في الواقع، هكذا تكوّنت نظرة جديدة للشخصية باعتبارها علامة مكوّنة من دال ومدلول، ولعل تصور "فيليب هامون" مَثَّلَ هذا الجانب، لهذا قال: "**إن الشخصية ليست معطى أوليا أو تابثا، وإن الأمر يتعلق بمحض التعرف عليها، بل إنها تَشَكُّل يَتِمُّ تصاعديا مع زمن القراءة وزمن المغامرة المتخيلة (إنها شكل فارغ ستملؤه مختلف المحمولات (les Prédicats) (أفعال وصفات). إن الشخصية إذن ودائما تكاثف لأثر سياقي**"[39]، لهذا لا يتم اكتمال مدلول الشخصية إلاّ عند نهاية الحكاية/ القصة مكتسبة إياه من خلال دورها الذي لعبته في أحداث الحكاية.

بناءً على ما سبق، فإن التعامل مع مفهوم الشخصية في هذا المستوى سيتم من خلال مصادر إخبارية ثلاثة:

- ما يخبر به السارد (الراوي) عن شخصياته.
- ما تخبر به الشخصيات عن نفسها.
- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.

2-3-2- المستوى التركيبي:

إن ما يهم في هذا المستوى؛ هو كشف الأجزاء المدرجة داخل السرد كخطاب ينشئ قصة بشكل وحدة دلالية في إطار تحليل " محكي السلوانات"، لاستخراج الكيفية التي اشتغل بها السرد أو الحوار (العرض) في الخطابات المسرودة والمعروضة (محكي الأقوال)، وبأي صوت يُحكى لنا كل مشهد سردي؛ **أي من الذي يتحدث؟** لنبرز علاقة السارد بقصته وحكاياته حتى نعرف إذا ما كان موجوداً أو غائباً عنها، وبالتالي استنباط الكيفية التي ستُسهم في الكشف عن العناصر الحجاجية التي قَوَّمَ بها ابن ظفر الصقلي خطابه المؤسس على التواصل المكتوب لتمرير مقصديته للمتلقي.

---

(36)- **مستويات دراسة النص الروائي " مقاربة نظرية"**، د. عبد العالي بوطيب، ص: 45.

(37)- **سيميولوجية الشخصيات الروائية**، المرجع السابق، ص: 55، (بتصرف).

(38)- **مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة**، لعبد الصمد زايد، ص: 21.

(39)- **مستويات دراسة النص الروائي " مقاربة نظرية"**، د. عبد العالي بوطيب، ص: 47.

➢ **الصوت السردي:**

يتعلق الأمر هنا بهوية السارد وشخصيته؛ فهو يرتبط بدرجة حضور السارد في الحكي من خلال ضمائر الشخصيات (المتكلم) أو سرّاد أجانب (الغائب) [40]، فيسمى الأول:داخل حكائي والثاني: خارج حكائي، وإذا كانت وضعية السارد تتحدد داخل أو خارج القصة من خلال الضمائر المستعملة فإن جيرار جينيت قد حدد مستوياته في أربع، ف :

أ- السارد داخل حكائي : Narrateur intradiégiriques

هو السارد الذي يحكي القصة، فيكون حاضرا بصفته شخصية في مستوى الحدث أو مشاركاً أو مشاهداً، ويسمى بذلك " السارد ذاتيا حكائيا" **auto-diégétique**[41] وينقسم إلى قسمين:

- **سارد داخل- حكائي- متباين حكائيا:**

حيث يكون السارد داخل الحكاية الأولى، يحكي حكاية ثانية يكون غائبا عنها، أي أنه شخصية داخل الحكاية الإطار، لكنه خارج الحكاية المسرودة مثل شهرزاد كشخصية في الحكاية الإطار، تحكي قصصا غائبة عنها[42].

- **سارد داخل- حكائي- متماثل حكائيا:**

أي أن السارد من داخل الحكاية التي يشارك في أحداثها، يسرد كذلك قصة ثانية يكون في مستوى أحداثها إما كشخصية أو كمشاهد أو كحاضر.

ب - السارد خارج الحكائي : Narrateur extradiégitique

هنا، يكون السارد يحكي أحداثاً لا علاقة له بها، أو أنه ليس حاضراً في الحكاية التي يحكيها بأي شكل، إذ أنه يقوم فقط بمهمة "نقل" أو " حكي" أو " سرد" أحداث تلك الحكاية[43].

ويقسم بدوره إلى قسمين:

- **سارد خارج – حكائي- متباين حكائيا:**

كأن يكون سارداً يحكي أحداث حكاية غائباً عنها أو غير مشارك في أحداثها، كما أنه يستحضر أحداث حكاية أخرى غير حاضر فيها مثل: هوميروس الذي يحكي بواسطة محكي أول غير حاضر فيه، حكاية (حرب طروادة) التي يعتبر غائبا عنها أيضا[44].

- **سارد خارج- حكائي- متماثل حكائيا:**

أي السارد "**الذي يحكي بواسطة محكي ثان حياته لصديق مجهول، وهو سارد المحكي الأول كان يعتبر طرفا فيه**"[45]، أي أن ساردا يحكي حكاية غائبا عنها لكنه يستحضر على لسان شخصية معينة أحداثا يكون مشاركا فيها أو يكون هو بطلها.

---

(40)- **نظرية السرد " من وجهة النظر إلى التبئير"**، لجيرار جينيت ، وواين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، ص: 102.

(41)- المرجع نفسه، ص: 103

(42)- **نظرية السرد " من وجهة النظر إلى التبئير"**، لجيرار جينيت ، وواين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى، ص: 104 (بتصرف).

(43)- المرجع نفسه، ص 104 (بتصرف).

(44)- **نفسه**، ص: 104 (بتصرف).

(45)- نفسه، ص: 104.

➢ **صيغ السرد:**

ميز فيه "جيرار جنيت" بين محكي الأحداث (**Les actes**) ومحكي الأقوال الذي سنركز عليه بالدرجة الأولى على اعتبار ما سنعتمده في التحليل.

- **محكي الأقوال:**

هو كلام أو خطاب الشخصيات التي تكون فيه صيغة السرد هي العرض، "**ويمكن للسارد أن يتناول كلام الشخصيات عن طريق إدماجه في خطابه الخاص**"[46]، نستنتج من خلال هذا النص الدور الرئيس الذي يحظى به السارد (سواء كان مشاركاً في الأحداث أم غير مشارك)؛ إذ تتحدد مهمته في تصوير الأحداث كما وقعت بالفعل أو كما خُيِّلَ له أنها قد وقعت، فالسارد دائما ما يراقب البنية النصية من حيث قدرته على إدراج خطاب الشخصيات ضمن خطابه، أو يترك الشخصيات تتلفظ خطابها بنفسها، أو أن يعيد إنتاج خطاب الشخصيات مع تنظيمه، وهكذا نكون أمام ثلاث مراحل تنقُّل بالتدريج من كلام السارد إلى كلام الشخصيات، ومن السرد إلى الحكاية:

أ- **خطاب مسرود أو الخطاب المُسَرَّد: Discours Narrativisé** أي أن الشخصية تتكلم بلسان السارد، هذا الأخير يسرد أو يصف أشياءً وأحداثاً متعلقة بالشخصية، أي أن السارد يدمج كلام الشخصيات داخل السرد، ويوضع في نفس مستوى الوقائع الأخرى"[47]

ب- **خطاب منقول أو الخطاب المحوَّل: discours transposé** حيث يتم تحويل كلام الشخصيات أو عرضها بأسلوب غير مباشر من قبل السارد مع المحافظة على نفس الصيغ الضميرية والزمنية لخطاب الشخصية، فالسارد هنا يكتفي بنقل كلام الشخصيات كما قد يدمجها في خطابه الخاص، ويقسم إلى قسمين:

- **منقول مباشر**: تتم فيه نقل كلام الشخصيات بشكل مباشر دون تغيير.
- **منقول غير مباشر**، حيث يتم نقل كلام الشخصيات بتغيير أو تنظيم من السارد[48].

ج- **خطاب معروض أو خطاب مستحضر**: discours rapporté إنه الذكر الحرفي لكلام الشخصية بأسلوب مباشر؛ أي أن السارد يتراجع ليترك المجال للشخصيات لتتكلم بنفسها، ويقسم إلى ثلاث أقسام:

- **معروض مباشر**: يتم فيه الحوار بين الشخصيات دون تدخل من السارد.
- **معروض غير مباشر**: حيث يتم فيه تدخل السارد لينظم الحوار بين الشخصيات دون أي تغيير.
- **معروض ذاتي**: وهو المونولوج الداخلي، حيث يتحرر خطاب الشخصية من أي سلطة سردية؛ أي أن الشخصية تحدث نفسها داخلياً وبشكل فوري[49].

رغم إشارتنا السريعة لأهم معالم المنهج السردي وبعض اتجاهاته وأهمية البحث عن الجوانب التي تجمع بينه وبين المنهج الحجاجي، إلا أن الرِّهان الذي تَوَافَقَ عليه جل الدارسين في هذا المجال هو قيامه على أسس مقاربة المعنى أو الدلالة، لكن ليس المعنى الحرفي المباشر الذي تؤسسه الجملة من خلال العلاقات التركيبية والدلالية التي تقدمها الألفاظ، بل إنها تراهن على المعنى الضمني أو الرسالة المتضمنة التي يحتكم إليها الملفوظ دون أن يشير إليها مباشرة، وهي رسالة يؤسسها المتكلم عبر نسقية خاصة يتوحد فيها اللساني بالسياقي والاجتماعي، ويدركها المتلقي عبر نسقية شبيهة بنسقية المتكلم لتشكل الميثاق التواصلي بينهما، و الذي يساهم في عملية التواصل ونجاحها سواء كان هذا التواصل شفهيا

---

(46)- **نظرية السرد " من وجهة النظر إلى التبئير"**، لجيرار جينيت ، وواين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى ، ص:106.

(47)- المرجع نفسه، **ص: 107 (بتصرف)** .

(48)- **نظرية السرد"من وجهة النظر إلى التبئير"**، لجيرار جينيت ، وواين بوث وآخرون، ترجمة: ناجي مصطفى ،ص: 107(بتصرف) .

(49)- **المرجع السابق**، ص: 107(بتصرف).

أم مكتوبا. وهذا ما سنراهن بدورنا عليه في بحثنا هذا، للكشف عن النسقية التي اختارها الكاتب " ابن ظفر الصقلي" لتمرير مقصديته تجاه المتلقي من جهة، ثم نسقية القارئ (الخاص/ العام) في بحثه عن المعنى الضمني الذي تحتويه رسالة "السلوانات" في إطار نسق عام وهو التواصل الحجاجي من جهة أخرى.

بناء عليه، فإن كتاب " السلوانات" قد ينفتح على مختلف القراءات المنهجية الحديثة، خاصة المناهج السردية- القديمة منها والحديثة- والحجاجية والتداولية، وهذا ما حاولنا إيجاد معبر من خلال هذا المقال يوصلنا إلى إثبات الإشكالية التي لامسناها أثناء قراءتنا لكتاب "السلوانات"، وهو ما كان وراء طرحنا عدة أسئلة سيكون المنهج الحجاجي/التداولي وراء الإجابة عليها من خلال مدونة محكي السلوانات: **فما هي طبيعة العلاقة التي تحكم الباث بالمتلقي والنص؟** بمعنى **ماهي العلاقة التي تحكم "ابن ظفر" بالقائد "أبي عبد الله القرشي" كمتلقي خاص وبالقارئ(النحن) كمتلقي عام؟** و**ما هو دور السياق في الكشف عن هذه العلاقة؟** ثم **كيف تظهر مقصدية الكاتب من خلال محكياته؟** و**ما هي طبيعة الحجاج التداولي الذي نلمسه في محكي السلوانات؟**.

خلاصة:

رأينا أن كلا من الحجاج والسرد يقوم على تصورات نظرية وإجرائية تمكنه من قراءة النصوص عبر ميكانيزمات معينة تتحكم في اشتغالها وهي تنتج دلالة معينة في إطار منسجم، مع العلم أن لكل مجال منهما خصوصيته الخطابية التي تسعى إلى دعم مناهجها ومرجعياتها، لكن الذي سَعَيْنَا وراءه هو إثبات أن كل قطب منهما يسعى لنفس الغرض؛ ألا وهو كسب تأييد المتلقي (القارئ) في قضية ما، أو تحقيق إقناع ذلك المتلقي (القارئ) بإشباع مشاعره وتقبل ما يعرض عليه من أفكار، سواء بأساليب مباشرة أم غير مباشرة- واقعية أم متخيلة، مستخدمين أغراضا تواصلية ومقاصد وسياقات اعتماداً على القدرة اللغوية لكل من الخطيب في مجال الحجاج أو السارد في مجال السرد.

لذا كان اهتمامنا منصبّاً على وضع بعض الإضاءات التي تهتم بطبيعة الموضوع الذي نريد مقاربته هنا، كما تهتم بالتصور المنهجي والأدوات الإجرائية التي تؤيد فكرتنا حول ذلك التعالق العملي الحاصل بين السرد والحجاج، و الذي يخص قضايا النسق الحجاجي الذي يمكن استنباطه من "محكي السلوانات" جَرْيًا وراء إثبات فرضية أن السرد هو طريقة في الحجاج من خلال الدّور الذي تلعبه العوالم السردية بواسطة تفاعلاتها الخطابية والنصية بهدف إقناع المتلقي عبر شخصياتها وأفعالها.

كان لزاماً علينا أن نضع أرضية نظرية إبيستيمولوجية يتم فيها تحديد المفاهيم الأساسية للسرد والحجاج والأدوات التي يمكن العمل بها على تحليل "محكي السلوانات" من خلال مجموعة من التصورات الفلسفية والنقدية، و كما هو واضح أن مستويات التحليل تتعدد و تتراكم من حيث المنهج، إلا أن الاختيار قد وقع على مستويين اثنين:

- **المستوى الحكائي/ السردي**: تكون مقاربته من خلال الحدث، الشخصيات، الصيغ، والتفاعلات الخطابية التي نجدها في "السلوانات" تقوم على مقاربتين: تساهم كل منهما في توجيه فكر المتلقي في اتجاه معرفة مقصودة، فتظهر من خلال:

أ- تفاعل خطابي (خطاب مسرود وخطاب معروض)

ب- تفاعل نصي (تقنية التناص).

- **المستوى الحجاجي البلاغي/ التداولي**: يتم إدراج الكيفية التي يتأسس فيها السرد كخطاب حجاجي يقنع المتلقي بقضية معينة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- **ألف ليلة وليلة "تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد"**، لعبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط /1993. **الزمان و السرد" الحبكة و السرد التاريخي"**، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة: د.جورج زيتاني، ج1.
- **بنية النص السردي "من منظور النقد الأدبي"**، د. حميد الحميداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط2000/3م.
- **حجج وسرديات**، سيمور تشاتمان، ترجمة و تقديم: جواد الرّامي، مقال ضمن: مجلّة فكر ونقد، السنة الخامسة، ع. 48، أبريل-2002.
- **حبكة الرواية**، لـ: م فورستر، ضمن كتاب: أسس النقد الأدبي الحديث، ترجمة: هيفاء هاسم، وزارة الثقافة- دمشق، د.ط/1966م .
- **خطاب الحكاية "بحث في المنهج"**، جيرار جينت، ترجمة : محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي(ترجمة جزئية لمجلة figureIII)، مطبعة النجاح الجديد- الدار البيضاء،ط1996/1م.
- **الخبر في السرد العربي "التوابث والمتغيرات"**، د. سعيد جبار، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1424/1هـ -2004م.
- **سيميولوجية الشخصيات الروائية**، فيليب هاموند، ترجمة: د. سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الكلام- الرباط/1990م.
- **السرديات "مقدمة نظرية ومقتربات تطبيقية"**، مرسل فالح العجمي، مكتبة آفاق للنشر والتوزيع، ط1432/1هـ-2011م.
- **السرد العربي**، "مفاهيم وتجليات"، د. سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط2006/1م.
- **السرديات والتحليل السردي "الشكل والدلالة"**، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي،ط2012/1م.
- **علم السرد**، " **مدخل إلى نظرية السرد**"، ليان مانفريد، ترجمة: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2011/1م.
- **طرائق تحليل السرد الأدبي**، مقال بعنوان "**التحليل البنيوي للسرد**"، لورلان بارت ، ترجمة: حسن البحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، ضمن منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ملفات 2، ط1/ 1992.
- **القصة العربية في العصر الجاهلي**، علي عبد الحليم محمود، دار المعارف- مصر، 1979م.
- **القاموس المحيط**، للفيروز الآبادي، ج2، دار الفكر- بيروت، مج1403/1 هـ-1983م.
- **الكلام و الخبر "مقدمة للسرد العربي"**، د.سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي،ط1997/1م.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر- بيروت، د.ت.
- **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان- ساحة رياض الصلح- بيروت، ط2(منقّحة ومزيّدة)/1944هـ-1984م.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس أبي الحسن بن زكرياء، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، ط1991/1م.
- **مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة**، لعبد الصمد زايد، الدار العربية للكتاب، 1988م.
- **مستويات دراسة النص الروائي " مقاربة نظرية"**، د. عبد العالي بوطيب، مطبعة الأمنية،ط1999/1م.
- **نظرية السرد "من وجهة النظر إلى التبئير"** ، لجيرار جنيت، واين بوث وآخرون، ترجمة : ناجي مصطفى، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، دار الخطابي للطباعة والنشر- البيضاء،1989م.